مؤسسة التعاون
WELFARE ASSOCIATION

قبة الصخرة المشرفة

جوهرة القدس والمسجد الأقصى المبارك

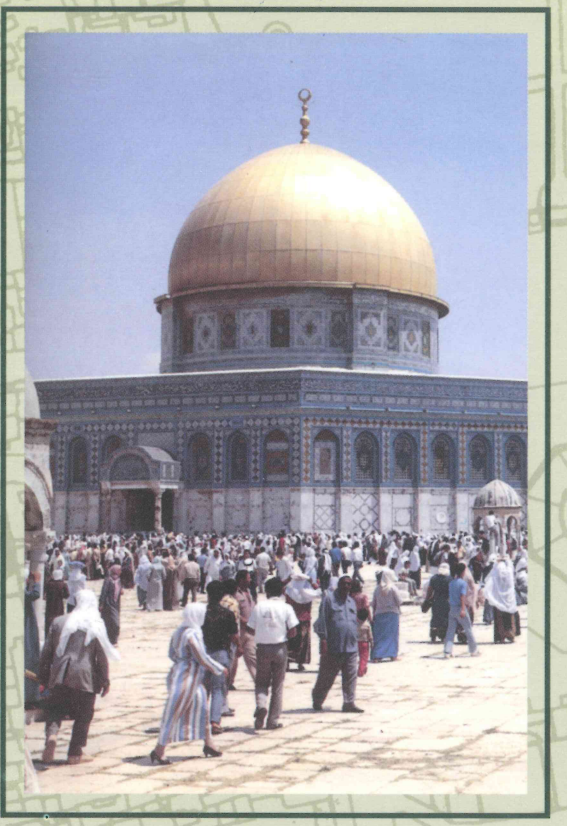

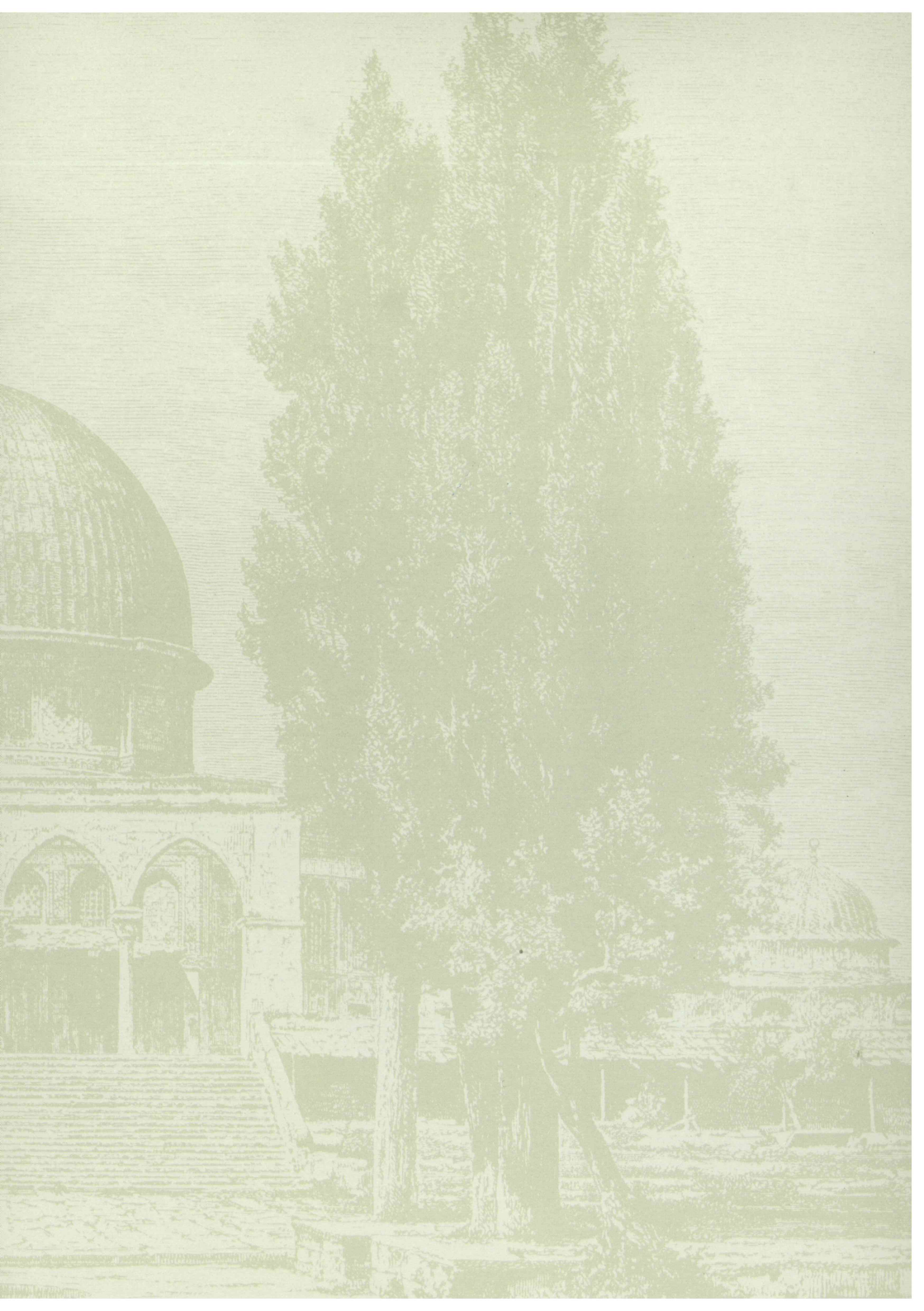

قبة الصخرة المشرفة

جوهرة القدس والمسجد الأقصى المبارك

د. يوسف سعيد النتشه

المكتب الفني لبرنامج إعمار البلدة القديمة في القدس

المحتوى

- موقع قبة الصخرة ٣
- مكانة وأهمية قبة الصخرة ٤
- مؤسس قبة الصخرة ٥
- متى بنيت قبة الصخرة؟ ٥
- أسباب بناء قبة الصخرة ٦
- اهتمام المسلمين بقبة الصخرة على مر الأيام ٧
- قبة الصخرة في أيام احتلال الفرنجة ٨
- وصف مبنى قبة الصخرة من الخارج ٩
- وصف قبة الصخرة من الداخل ١١
- رقبة القبة ١١
- زخارف وكتابات قبة الصخرة الداخلية ١٣
- مغارة الصخرة ١٥
- المسطرة التاريخية ١٦

كتيب رقم (١)

صدر عن مؤسسة التعاون ــ المكتب الفني لبرنامج إعمار البلدة القديمة في القدس

إشراف: د. شادية طوقان ــ مديرة برنامج إعمار البلدة القديمة

تصميم: أضواء للتصميم والمونتاج الفني

شكر خاص لمؤسسه فورد التي دعمت برنامج التوعية الجماهيرية ودعمت إنتاج هذا الكتيب

جمادى الأولى ١٤٢٣/آب ٢٠٠٢

الصور من أرشيف المكتب الفني فيما عدا صورة الكتابة التأسيسية فهي لسعيد نسيبه ومجسم الصخرة من متحف القلعة والمخطط من كريزول

قبة الصخرة المشرفة

"ان الناس كـانوا يقولون قديما: مسجد بيت المقدس بـه
جوهرتان هما قبة الجامع الأقصى وقبة الصخرة المشرفة"
مجير الدين الحنبلي

موقع قبة الصخرة

تـقوم قبة الصخرة المشرفة في وسط منطقة المسجد الأقصى المبارك، وترتفع أرضيتها عن مســتوى أرضية المسجد الأقصى بحوالي ٤ أمتار. وتعرف هذه الساحة اليوم عند سـكان القدس باسـم سطح الصخرة، وأطلق عليها سابقا اسم "دكة الصخرة"، وتخطيط هذه السـاحة قريـبا من الشكل المربع، ويـتوصل إليـها عبر ثماني بوائك (مراقي-موازين).

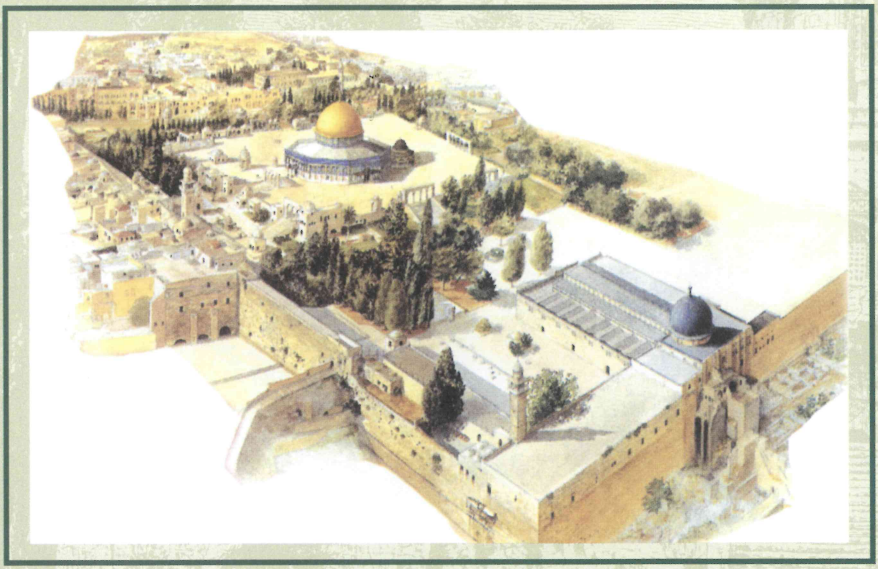

موقع قبة الصخرة في المسجد الأقصى

مكانة وأهمية قبة الصخرة

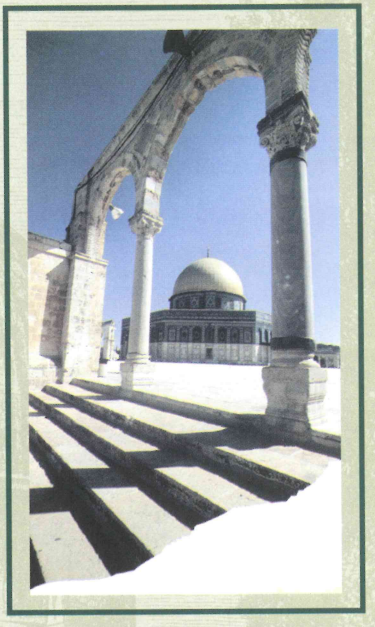

البائكة الجنوبية الغربية

تكتسب قبة الصخرة أهمية كبيرة من عدة نواحي. فمن ناحية دينية فهي موقع معجزة الإسراء والمعراج، ومن ناحية فنية وزخرفية فهي معلم يؤرخ للفن الإسلامي في مراحل تكوينه وتشكيله المبكرة، ومن ناحية معمارية فهي تحفة رائعة فريدة لم يبنى مثلها من حيث التصميم ولا من حيث الوظيفة في العمارة الإسلامية. وهي أقدم اثر معماري إسلامي قائم حتى يومنا هذا، ومن حسن الطالع إننا نشاهد اليوم مبنى قبة الصخرة كما بناه عبد الملك بن مروان دون أي تغير ملموس خاصة فيما يتعلق بالتخطيط والمساحة وأغلب الزخارف. وهذه المحافظة نادرة جدا في العمارة الإسلامية.

وقبة الصخرة من أجمل الآثار الإنسانية، فقد حازت على إعجاب زوارها بغض النظر عن إنتماءاتهم أو ديانتهم وسواء أكانوا مختصين أم مشاهدين عاديين، فقد لفت جمال قبة الصخرة وتناسق أجزائها وانسجام ألوانها وزخارفها عقول وقلوب زوارها، وقلما نجد مادة عن الفن الإسلامي أو القدس أو فلسطين مطبوعة أو مسموعة أو مرئية إلا وكانت قبة الصخرة تتصدر هذه المادة. وقد قرظ قبة الصخرة العديد من المختصين نكتفي هنا بإيراد ما كتبه المقدسي في القرن العاشر حيث ذكر ما نصه:

"وعلى الجملة لم أر في الإسلام ولا سمعت ان في [بلاد] الشرك مثل هذه القبة "

وما قاله السيد فرغوسن في القرن العشرين:

"ان مسجد الصخرة من الجمال على جانب عظيم، لقد زرت كثيرا من القصور الفخمة، والمباني الجميلة في الهند وأوروبا وفي أكثر بلدان العالم، ولكني عل ما اذكر لم أر ما هو أجمل ولا أبدع من قبة الصخرة، وأن التناسب البديع في الأحجام والألوان لم أجده في أي بناء أخر".

مؤسس قبة الصخرة

تجمع المصادر والمراجع التاريخية على أن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان الذي حكم من سنة ٦٥هـ/٦٨٥م إلى ٨٦هـ/٧٠٥م هو الذي أمر ببناء قبة الصخرة. وعبد الملك بن مروان هو أبرز الخلفاء الأمويين بعد معاوية، فهو المؤسس الثاني لخلافة بني أمية، اشتهر بالورع والحزم، فقد وطد الأمن في الدولة، وقضى على الفتن. قام بتعريب النقود والدواوين وأمر بوضع حجارة الأميال لتدل على المسافات الموصلة إلى القدس (إيلياء). ونالت القدس في عهده وعهد ابنه الوليد (٨٦-٩٦/٧٠٥-٧١٥) أجل رعاية، فقد بني في عهدهما العديد من الآثار المعمارية الخالدة التي ما تزال قائمة في القدس كقبة الصخرة (موضوع هذا الكتيب) والجامع الأقصى وقبة السلسلة ودار الإمارة وباب الرحمة والتوبة والعديد من الأبواب والبوائك علاوة على الاهتمام بأسوار المسجد الأقصى.

متى بنيت قبة الصخرة؟

بدأ في بناء قبة الصخرة في عام ٦٩هـ/٦٨٨-٦٨٩م وتم في عام ٧٢هـ/٦٩١-٦٩٢م. أي أن البناء استغرق أربع سنوات، وقد صرف عبد الملك على البناء خراج مصر لسبع سنوات، وقد كانت مصر من أغنى وأثرى الولايات في عصر الدولة الأموية. وقد وكل على البناء رجاء بن حيوة، من أشهر رجالات فلسطين في العصر الأموي، ويزيد بن سلام الذي كان من بيسان، وقد أمرهما بإفراغ المال إفراغا أي الصرف على المشروع بسخاء.

الكتابة التأسيسية لبناء قبة الصخرة

أسباب بناء قبة الصخرة

تظهر المصادر التاريخية والمفسرين والدراسيين، خاصة المعاصرين، اختلافا بينا في تفسير أسباب بناء قبة الصخرة ودوافع عبد الملك لذلك. فهم لا يكتفون بأن الهدف من البناء كان الرغبة في تخليد زيارة الرسول محمد عليه السلام إلى القدس وصعوده إلى السماء بمعجزة ربانية، وأن كثيرا من المسلمين قد شرعوا بزيارة المكان تيمنا بالرسول مما استدعى إقامة بناء يحمي هؤلاء الزوار من حر الصيف وبرد الشتاء، بل يحاولون أن يبحثوا بين السطور والروايات والأحداث عن أسباب أخرى واهية.

فمن ذلك ما أشيع من أن عبد الملك منع الناس من الحج رغبة في تفويت الفرصة على عبد الله بن الزبير في مكة الذي كان يدعو لنفسه ويذكر مثالب بني أمية فمال

إليه معظم أهل الشام. وبعد أن أقام الناس مدة ضجوا فبنى لهم عبد الملك القبة على الصخرة ليشغلهم بذلك عن الحج، فكانوا يطوفون حولها كما يطوفون حول الكعبة وينحرون يوم العيد. ولقد ناقش المختصون هذه الرواية وبينوا زيفها معتمدين على مصادر تظهر استمرارية الحج إلى مكة زمن عبد الملك وكون استبعاد أن يقوم عبد الملك بتعطيل ركنا هاما من أركان الإسلام. وذكر المقدسي سببا أخر للبناء حينما كان يناقش عمه حيث قال له عمه:

" .... ألا ترى أن عبد الملك لما رأى عظم قبة القيامة وهيئتها خشي أن تعظم في قلوب المسلمين فنصب على الصخرة قبة على ما ترى".

وهذا يعنى أن عبد الملك رغب في يجنب المسلمين الشعور بالنقص والضآلة إذا ما نظروا إلى كنائس الشام وفلسطين البيزنطية. وهناك اتجاه يعتمد على مضمون الكتابات التي وردت في قبة الصخرة والتي تركز على وحدانية الله وأن الإسلام هو دين التوحيد مما جعل البعض يعزو أسباب البناء إلى الرغبة في توجيه دعوة ورسالة صريحة إلى غير المسلمين بأن الإسلام هو الدين القويم.

اهتمام المسلمين بقبة الصخرة على مر الأيام

قدر أهمية ومكانة قبة الصخرة العديد من الحكام والسلاطين والخلفاء وذلك منذ تأسيسها وحتى يومنا هذا، فخصوها بالزيارة والصيانة والترميم. ومن الترميمات المشهورة ما قام به الخليفة العباسي المأمون في عام ٢١٦هـ/٨٣١م، وقام الفواطم بترميم مهم لقبة الصخرة نتيجة لسقوط أجزاء من القبة الخشبية الداخلية وذلك بتأثير الزلازل التي ضربت المنطقة، وقد تم الترميم في سنة ٤١٣هـ/١٠٢٢م في عهد الظاهر لإعزاز دين الله. وتوالت الترميمات على مبنى قبة الصخرة خاصة من قبل صلاح الدين الأيوبي الذي حرص على إزالة معالم الفرنجة المستحدثة وإعادة قبة الصخرة إلى اصلها وسابق عهدها. واهتم المماليك والعثمانيون وغيرهم من الحكام على استمرار بهاء قبة الصخرة المشرفة.

قبة الصخرة في أيام احتلال الفرنجة

حول الفرنجة قبة الصخرة إلى كنيسة وأطلقوا عليها اسم معبد الرب Templum Domini مع إضافة مذبح وبعض الأيقونات (الصور) والصلبان وغيرها من رموز الديانة المسيحية. وأحاط الفرنجة الصخرة المشرفة بسياج حديدي بديع الصنعة، لا تزال أجزاء كثيرة منه معروضة في المتحف الإسلامي بالمسجد الأقصى. ويبدو أن وضع هذا السياج يعزى إلى ما أورده ابن الأثير (ت ٦٣٠/١٢٣٢) في تاريخه من أن حجاج الفرنجة كانوا يبذلون الذهب والفضة في سبيل الحصول على قطعة من الصخرة مما نبه القائمين على الصخرة إلى خطورة استمرار ذلك مما كان سيؤدي إلى اختفاء الصخرة وهذا أدى إلى حماية الصخرة وأحاطتها بسياج حديدي. ومن الجدير ذكره أن جميع المعالم الدخيلة التي أضافها الفرنجة زالت من المبنى حال طردهم من القدس على يد القائد صلاح الدين الأيوبي الذي أعاد مبنى قبة الصخرة إلى سابق عهده.

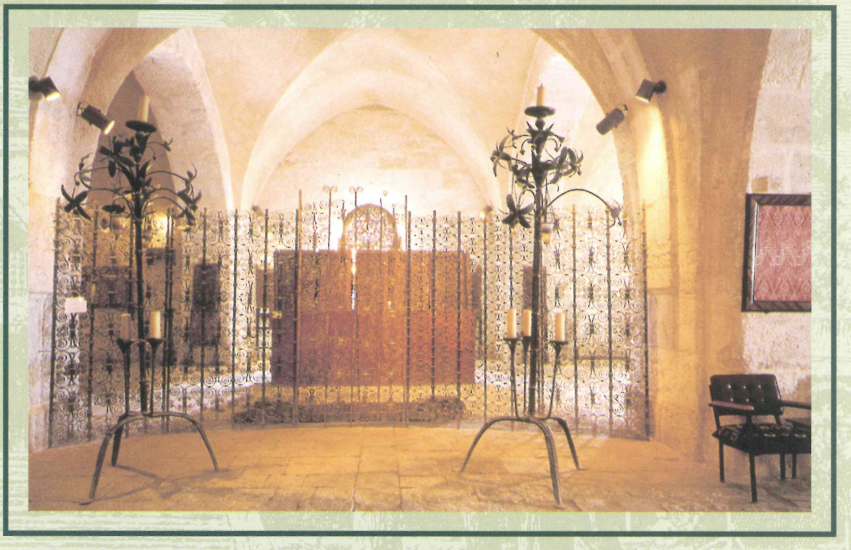

السياج الحديدي الذي كان يحيط بالصخرة

وصف مبنى قبة الصخرة من الخارج

لمبنى قبة الصخرة ثمانية أضلاع لتحيط بالصخرة المشرفة نظراً لأنها غير منتظمة الشكل، وقد فتح في الأضلاع الأربعة الأساسية أبواب توصل للداخل. ويبلغ امتداد كل ضلع من الأضلاع الثمانية حوالي ٢٠,٦٠ مترا وارتفاعه ٩,٥٠ مترا، وقد كسي القسم السفلي بقطع من الرخام المعرق، في حين زخرف القسم العلوي ببلاط خزفي، متعدد الألوان والوحدات الزخرفية الهندسية والنباتية، أصله من مدينة قاشان الإيرانية ولذا فهو يعرف بالقاشاني. وفتح في القسم العلوي لكل ضلع من الأضلاع الثمانية سبعة شبابيك، خمسة نافذة، تدخل الضوء والهواء للداخل، واثنتان في كل طرف صماء (مسدودة). ويعلو الأضلاع الثمانية طوف (تصوينة) حائطي يرتفع ما يقرب من ٢,٦٠ متر، مكسو بالقاشاني المماثل لبقية الجدران، ويبرز من هذا الطوف مياذيب (مزاريب) لصرف مياه الأمطار. ويدور حول هذا الطوف ويمتد إلى الجدران الثمانية شريط كتابي كتب بخط الثلث العثماني نصه اقتباس قراني يتضمن كامل نص سورة يسن. وتقوم القبة من الخارج على رقبة دائرية فتح فيها ستة عشر نافذة كسيت بالزخارف الجصية وغطيت بقطع من الزجاج الملون الذي يكشف ويبرز الزخارف الجصية ذات التكوينات النباتية والكتابية والهندسية، وقد لبست رقبة القبة ببلاط من القاشاني أيضا يزينه نص كتابي هو اقتباس قرآني لسورة الإسراء. وأما القبة التي تستند على الرقبة المذكورة، فهي نصف كروية الشكل والمقطع، تغطيها صفائح النحاس المطلي بالذهب، ويعلو القبة الهلال الذهبي. وقد كانت القبة فيما مضى في العهد الأموي من الرصاص الذي طلي بالذهب، ثم بعد إعمار عام ١٩٦٠ كانت الصفائح المعدنية من الألمنيوم الأصفر، لكن نظراً لخاصية التمدد والتقلص الذي يميز الألمنيوم فقد تشققت وتمزقت الوصلات (التباشيم) مما نتج عنه تسرب المياه واستدعى استبداله ضمن مشروع ترميم تم رعايته من قبل الملك الراحل الحسين بن طلال رحمه الله.

قبة الصخرة من الخارج

وصف قبة الصخرة من الداخل

تخطيط قبة الصخرة من الداخل عبارة عن مثمنان، داخلي وخارجي، يحيطان بالصخرة التي تعلوها القبة. ويستند المثمن الخارجي على الجدران الثمانية من جهة وعلى ثماني دعامات وستة عشر عمودا (بواقع عمودين بين كل دعامة) من جهة أخرى. وغطيت الجدران من الداخل كما هي من الخارج بألواح من الرخام إلى مستوى ارتفاع الأبواب. ويعلو ألواح الرخام شريط حجري يدور ويسير مع الجدران الداخلية، زين بالحفر البارز وقوام زخارفه تشكيلات من عناصر نباتية داخل أشكال على هيئة محاريب متتالية وقد طليت هذه الزخارف بماء الذهب. وزين سقف هذا المثمن بألواح خشبية تتوزع بواقع ثلاثة ألواح مربعة في كل تثمينه يزينهما تشكيلات هندسية منوعة.

والمثمن الداخلي محصور بين المثمن الخارجي وبين الدعامات والأعمدة التي تسند رقبة القبة، وعدد هذه الدعامات أربع في حين عدد الأعمدة هنا بلغ اثنا عشر عمودا. وأقيمت بين الدعامات والأعمدة عقود نصف دائرية، ربطت مع بعضها البعض بروابط خشبية مزينة، وقد زخرفت واجهات العقود وبطونها بالزخارف الفسيفسائية والكتابية الكوفية المذهبة على أرضية ملونه.

رقبة القبة

تستند القبة التي تعلو الصخرة على رقبة مستديرة تقوم على صف من العقود النصف دائرية المحمولة على أربع دعائم واثنا عشر عمودا سلف ذكرهم. وتقسم الرقبة إلى قسمين، السفلي شغل بزخارف فسيفسائية نباتية وهندسية وكتابية خضراء وذهبية اللون. وأغلب هذه الزخارف تعود إلى العصر الأموي، وهي تشبه ما يوجد من زخارف في المسجد الأموي بدمشق. وقد استقطبت هذه الزخارف جهود العديد من العلماء والمختصين لتفسير هذه الزخارف وإذا ما كان لها

مدلولات رمزية. وتشكل المزهريات والتيجان والعناصر النباتية من أوراق نخيلية وكيزان صنوبر ولولبيات وعناقيد وأوراق العنب وغيرها من العناصر أبرز مواضيع هذه الفسيفساء. ويشغل بداية هذا القسم من الرقبة شريط كتابي نقش بخط النسخ الأيوبي على أرضية خضراء فاتحة يتضمن نصاً هو اقتباس قراني لسورة طه. وفتح في القسم العلوي من الرقبة ست عشرة نافذة سدت بزخارف جصية وقطع زجاجية ملونة تسمح بدخول الضوء وأشعة الشمس بعد أن تتلون بلون قطع الزجاج وهذه النوافذ لا تسمح بمرور الهواء.

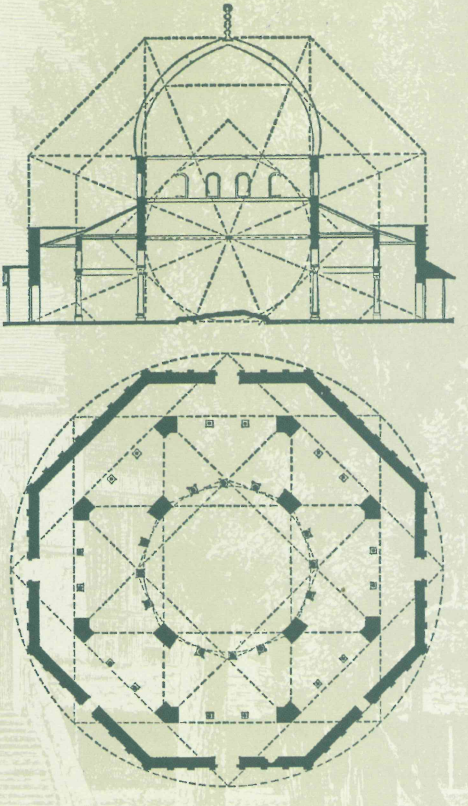

مسقط قبة الصخرة

زخارف وكتابات قبة الصخرة الداخلية

يفصل بين القبة ورقبتها شريط زخرفي يبرز قليلاً عن مستوى الرقبة ويشغله وحدات زخرفية متعاقبة على شكل محاريب. والقبة التي نراها من الداخل هي ليست القبة التي تشاهد من الخارج، ذلك أن قبة الصخرة في الواقع قبتان، خارجية وداخلية. و يبلغ قطر القبة الداخلية الخشبية ٢٠,٤٤م، وارتفاعها ٣٦ م. وقد رممت هذه القبة في الفترة الفاطمية وفي الفترات اللاحقة، وعليه فهي أقدم هيكل خشبي قائم حتى الآن. ويوجد فراغ تقرب مساحته من المتر ونصف المتر يفصل بين هذه القبة الداخلية والقبة الخارجية، وذلك لحماية القبة الداخلية وزخارفها من العوامل الجوية. ويسمح هذا الفراغ الذي يضيق كلما ارتفعنا لنصل إلى قطب القبة بتفحص

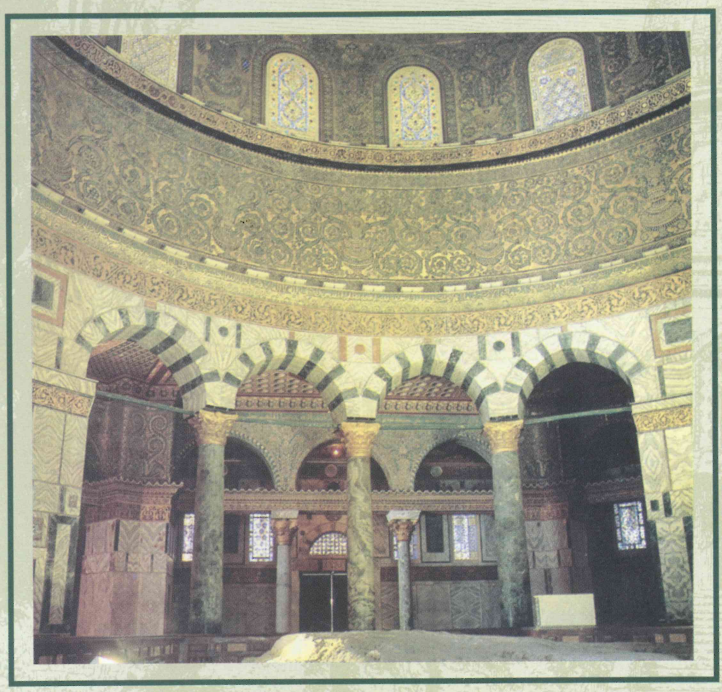

زخارف رقبة القبة

القبة. والزخارف الكتابيـــة والهندســية التي تزين هذه القبة من الداخل والتي هي على أرضية من الجص، تعود في تاريخها إلى العهد الأيوبي والمملوكي وذلك كما يـــظهر من نصوص الكتابات التي تزين هذه القبة وتوثق أشهر أعمال الترميم التي تمت عليها من قبل الحكام والسلاطين المسلمين.

فأول هذه النصوص يوجد في أعلى القبة قريبا من مركزها وهو نـــص قراني لآية الكرســـي، وقد كتبت الآية بخط ثلث جميل متشابك. وأســـفل القبة، قريبا من بداية رقبتها يوجد نص مقســـم إلى عدة أقســـام بواسطة صرر كتابية أيضا. وهذا النص كتب بخط ثلث متداخل ويتضمن توثيق ترميم كل من السلطان صلاح الدين الأيوبي والسلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون. ونص السلطان صلاح الدين:

"بسم الله الرحمن الرحيم أمر بتجديد وتذهيب هذه القبة الشريفة مولانا السلطان الملك الناصر العالم العادل العامل صلاح الدين يوسف بن أيوب تغمده الله برحمته وذلك في شهور سنة ست وثمانين وخمسمائة".

وأما نص الناصر محمد فهو كما يلي:

"بسم الله الرحمن الرحيم أمر بتجديد وتذهيب هذه القبة مع القبة الفوقانية برصاصها مولانا ظل الله في أرضه القائم بسننه وفرضه السلطان محمد بن الملك المنصور الشهيد قلاوون تغمده الله برحمته وذلك في سنة ثمان عشرة وسبع مائة".

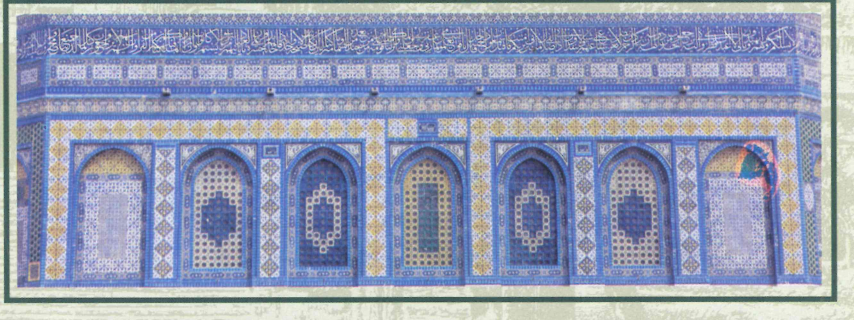

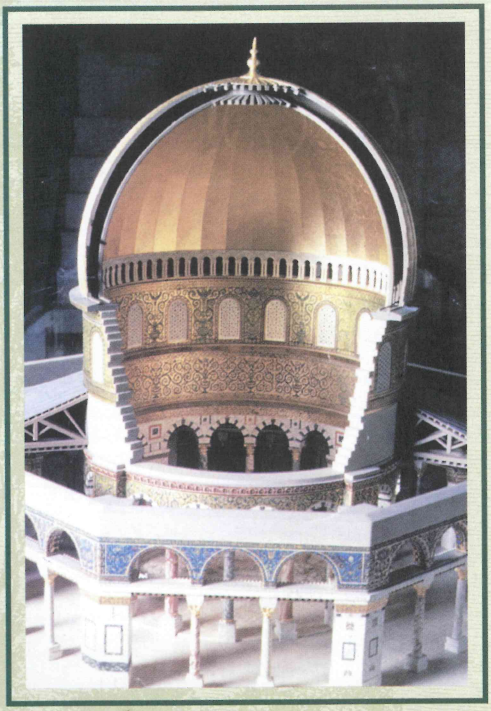

مجسم ومقطع لقبة الصخرة

مغارة الصخرة

الصخرة المشرفة صخر طبيعي غير منتظم الشكل (١٨م في ١٣م بارتفاع ١,٥) محاطة اليوم بسياج خشبي مزخرف يعود في تاريخه إلى العهد الأيوبي. ويوجد أسفلها كهف مربع الشكل تقريبا (٤,٥م) فيه محرابان، إحداهما مجوف والثاني مسطح، والأول كان يعتبر من أقدم المحاريب حيث أرخ للفترة الأموية، لكن الدراسات الحديثة أرجعته إلى العصر الإخشيدي، هذا ويقوم عدد كبيراً من المسلمين بالصلاة داخل هذا الكهف لاعتقادهم أن الدعاء فيه مستجاب.

المسطرة التاريخية

المسطرة التاريخية لفلسطين منذ الفتح الإسلامي حتى تاريخه بالتقويم الهجري والميلادي

الخلفاء الراشدين	١٥-٤٠ هـ/ ٦٣٧-٦٦١م
الدولة الأموية	٤١-١٣٢ / ٦٦١-٩٦٩
العهد العباسي	١٣٢-٣٥٨ / ٧٥٠-٨٦٨
الدولة الطولونية	٢٥٤-٢٩١ / ٨٦٨-٩٠٣
الفترة العباسية الثانية	٢٩١-٣٢٣ / ٩٠٣-٩٣٤
الدولة الإخشيدية	٣٢٣-٣٥٨ / ٩٣٤-٩٦٨
الدولة الفاطمية	٣٥٨-٤٦٤ / ٩٦٨-١٠٧١
فترة حكم السلاجقة	٤٦٤-٤٩٢ / ١٠٧١-١٠٩٩
فترة إحتلال الفرنجة	٤٩٢-٥٨٣ / ١٠٩٩-١١٨٧
الدولة الأيوبية	٥٨٣-٦٤٨ / ١١٨٧-١٢٥٠
الدولة المملوكية	٦٤٨-٩٢٢ / ١٢٥٠-١٥١٧
الدولة العثمانية	٩٢٢-١٣٣٦ / ١٥١٧-١٩١٧
فترة الانتداب البريطاني	١٣٣٦-١٣٦٨ / ١٩١٧-١٩٤٨
العهد الأردني	١٣٦٨-١٣٨٧ / ١٩٤٨-١٩٦٧
الإحتلال الإسرائيلي	١٣٨٧ / ١٩٦٧
السلطة الوطنية الفلسطينية	١٤١٢ / ١٩٩٢

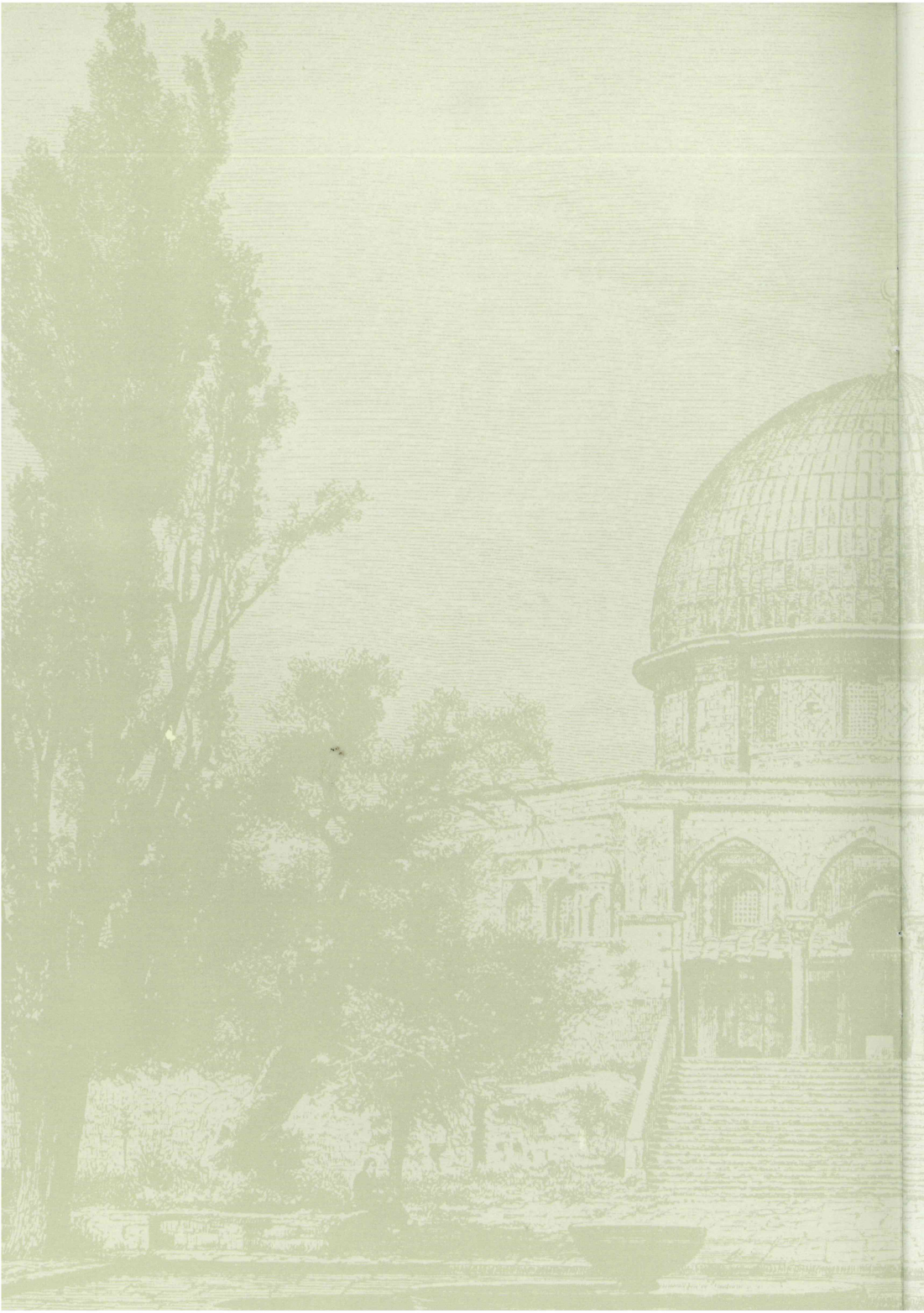

تحتضن أسوار البلدة القديمة من القدس كم كبير من الكنوز الدينية والتاريخية والمعمارية التي يندر وجودها في مكان واحد، والتي بقيت شاهدة على عمق الجذور العربية والإسلامية الأصيلة في المدينة المقدسة والممتدة عبر آلاف السنين.

هذا الكتيب هو جزء من سلسلة كتيبات توعوية يتم إصدارها ضمن مشروع التوعية الجماهيرية التابع لبرنامج إعمار البلدة القديمة في مؤسسة التعاون والذي يجري تنفيذه بالتعاون مع مجموعة من المؤسسات الشبابية والمجتمعية والدينية والتعليمية ويشمل العديد من الأنشطة التوعوية في المدارس والمؤسسات المجتمعية وأعمال تطوعية لتنظيف وصيانة الأماكن التاريخية وتدريب كوادر شبابية لنشر الوعي وتحسين الواقع البيئي وغيرها.

لقد تم إنشاء مشروع التوعية الجماهيرية بعد أن أدرك برنامج إعمار البلدة القديمة حجم الضرر والتدهور الذي يحدث لهذه المعالم المميزة بسبب الإجراءات والسياسات الإسرائيلية المتعمدة التي تسعى إلى تهويد المدينة المقدسة وطمس معالمها العربية والإسلامية وتهجير سكانها في وقت تغيب فيه الخطط الوطنية الفاعلة التي تحمي هذا التراث وبسبب ضعف الوعي بأهمية التراث التاريخي والأثري والعمراني وخاصة من قبل سكان البلدة القديمة.

وتصدر هذه السلسلة من الكتيبات التوعوية للمساهمة في نشر الوعي الجماهيري بتراثنا الغني في البلدة القديمة وأهمية الحفاظ عليه. ويهتم كل كتيب من هذه السلسلة بتقديم معلومات أساسية حول أحد المواقع المعمارية أو التاريخية أو الدينية البارزة.

برنامج إعمار البلدة القديمة - مؤسسة التعاون

JERUSALEM IN OUR HEARTS